ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق حتى غص المسجد
بأهله وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة
جميلة فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون
والثلاثون من أهل بيته ومواليه وأتباعه عليهم الخز والديباج
قال وكان في المسجد يومئذ عمير بن ضابئ البرجمي التميمي
فلما رأى الحجاج على المنبر قال لصاحب له أأحصبه لك
قال اكفف حتى نسمع ما يقول قال لا بل أنا أحصبه وأنا ابن ضابئ
ثم قال لعن الله بني أمية كيف يولون ويستعملون مثل هذا
على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها
فوالله لو كان هذا كلاما كله ما كان بشيء والحجاج ساكت
ينظر يمينا وشمالا فلما رأى المسجد قد غص بأهله قال
الحجاج قد اجتمعتم فلم يرد عليه أحد شيئا فقال إني لا أعرف
قدر اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا
أصلح الله الأمير فكشف لثامه ونهض قائما فكان
أول شيء نطق به أن قال إني لأرى رؤوسا قد أينعت وقد حان
قطافها وإني لصاحبها وإني لأرى الدماء ترقرق بين العمائم

والطا

واللحى والله يا أهل العراق إن أمير المؤمنين نثر كنانته
بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها
مكسرا فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم
في مراقد الضلال والله لأنكلن بكم في البلاد ولأجعلنكم
مثلا في كل واد ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل وإني يا أهل
العراق لا أعد إلا وفيت ولا أعزم إلا أمضيت فإياي
وهذه الزرافات والجماعات ثم قال يا أهل العراق إنما
أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل
مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون فاستووا وأقيموا واعتدلوا ولا تميلوا
وتبايعوا واجتمعوا واستمعوا فليس مني الإهدار والإكثار
إنما هو هذا السيف ثم لا ينسلخ الشتاء من الصيف
حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم ويقيم لكم أودكم ثم إني
وجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة ووجدت
الكذب مع الفجور ووجدت الفجور في النار وقد وجهني
أمير المؤمنين إليكم وأمرني أن أنفق فيكم وأوجهكم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)